قراءة أدبية نقدية في مُخْتارات (المبرد) الشعرية في كتابه الكامل

د. أمير فاضل سعد* د. طراف طارق النهار*

المستخلص:

يؤكد البحث على العلاقة الرابطة بين المعطى الشعري والظرف الاجتماعي والثقافي الذي حصل فيه، وخصَّصَ البحث لمناقشة هذه العلاقة مختارات المبرد الشِّعْرِيَّة، في كتابه الكامل..

ولقد خَلَصَ البحث إلى معلمين بارزين (للمبرد)، الأول: إنساني، والآخر: واقعي، وهذان المعلمان فرضا عليه استحسان الشعر الذي له أثر ملموس في واقع الحياة، ورفضه لشعر الغلو والإفراط، وكذلك اهتمامه بالمعنى، وجعله معيارًا للحكم على قيمة الشعر في كتابه ..

إن اهتمام (المبرد) بنسبة المعنى إلى صاحبه، موصول بظاهرة إسناد الشيء إلى صاحبه، الحاصلة عند المحدثين، وعند اللغويين، وقد أخذ بآليتين في مفاضلته بين المعاني، وفي نسبتها إلى أصحابها، الأولى: الموازنة، والأخرى: مبدأ الأخذ.

الكلمات المفتاحية: المبرد، الكامل، مختارات، الشعر، المعاني..

Abstract:

The research emphasizes the relationship between the poetic product and the social and cultural circumstance in which it occurred. The research devoted Al-Mubarred's poetic anthology in his book "Al-Kamel" to discuss this relationship.

The research concluded into two prominent pillars for Al-Mubarred, the first one was humane, and the other one was

* الأستاذ المشارك في الأدب ونقده، في قسم اللغة العربية، في كلية التربية بالحديدة- جامعة الحديدة.

* أستاذ الأدب العربي ونقده، في قسم اللغة العربية، في كلية التربية- جامعة أديمان، تركيا.

realistic. These two pillars imposed upon him the acceptance of poetry that has an obvious impact on the realities of life, and his rejection of the poetry of exaggeration and overestimation. In addition, his interest in the meaning, and making it as a criterion for judging the value of poetry in his book.

Additionally, the interest of Al-Mubarred of referring the meaning to its owner is connected to the phenomenon of attributing an artwork to its owner, which occurs among narrators and linguists. He has utilized two strategies for comparison between the meanings and assigning it to the owners, the first one was the balance and the other one was the principle of quotation.

Keywords: Al-Mubarred, Al-Kamel, anthology, poetry, meanings ...

أولًا- البادئة:

لقد أخذ البحث بالمسلمات التي تربط النص بمؤلفه، وطبقها على مرويات (المبرد)، ومختاراته الشعرية في كتابه "الكامل"؛ فدرس الفكر الأدبي (للمبرد) في مروياته الشعرية، مفترضاً علاقات نفسية وثقافية، فرضتها المواقف الحضارية التي يعيشها ويتفاعل معها، ووجهته إلى رواية نصٍّ دون آخر، وإلى اختيار شعري معين؛ وبهذا تصبح هذه المختارات الشعرية "أيقونات" رامزة إلى فكر صاحبها، وتصوراته الأدبية، المؤثرة عليه.

وأخذ البحث بحصر موضوعاته الشعرية، وإحصاء أحوالها، ثم عمد إلى التحليل، فالتوصيف، فالحكم، مشترطاً في أبيات نصوص حصره ودراسته ألا تقل عن أربعة أبيات، وقد جعل البحث مادته العلمية في ثلاثة مباحث بعد بادئة موجزة، ثم خاتمة فيها بعض ما خلص إليه من نتائج وملحوظات علمية..

ثانياً- الأداء الحضاري:

الشعر" ديوان العرب"، وهو لسان حالهم ومفاخرهم، وأسلوبهم الفني المجسد لأفكارهم وثقافاتهم؛ وإن النص الشعري –بالضرورة- يجسّد معطيات الحياة الحضارية التي أنتجته؛ ويؤكد قوة العلاقة بين نظام القصيدة الواحدة والنظام الشعري الكلي الذي يجسد كل هذه المعطيات.

إن العلاقة بين الموقف الحضاري والأداء الشعري ثابتة؛ إذ إن نوع الأدب ونغمته متصلان بالحضارة التي يمثل صاحب الأدب جزءاً منها [1]، و"إن الإنسان صانع الحضارة لا يمكنه أن يصنع شيئاً إن لم يفكر في نفسه وحاجاته، ومعنى وجوده في هذا العالم"[2]، وإن الفعل الإنساني لا يمكن تحققه في غياب البيئة أو المجتمع، فنطاق الأهداف أو الغايات التي يختارها فعل الإنسان.. لا تجري في فراغ، بل وسط بيئة مكونة من عدد من العوامل المادية والاجتماعية التي تحدَّد الاختيارات المتاحة..[3]، وفي فرضيات (هربرت بلومر) التفاعلية: "البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم، وهذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع

---

[1] ينظر، ديفيد ديتشس: **مناهج النقد الأدبي** بين النظرية والتطبيق، ترجمة: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٤.

[2] عياد، شكري محمد: **المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين**، عالم المعرفة، الكويت، ع ١٧٧، ١٩٩٣، ص ١٤٧

[3] ينظر، إيان كريب: **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، عالم المعرفة، ع ٢٤٤، ١٩٩٩م، ص: ٧٠.

الإنساني"[١]؛ ومن ثم جعل النقاد العلاقة بين الظروف المحيطة بالمنتج الشعري الشعري ومعطياته الفنية والموضوعية موضوع اهتمامهم، فاهتم النقاد الألمان -منذ أواخر القرن التاسع عشر- بدراسة العلاقة بين الشكل الفني والجو الحضاري الذي ينشأ فيه[٢]، وربط (فراي) الشعر بالحضارة، "فدرس القصيدة الواحدة بما هو جزء من التراث الشعري، ودرس الشعر بما هو جزء من الحضارة الإنسانية.."[٣]..

وفي نظر المنهج البنيوي لا تفهم معاني الأدب إلا بأنظمة من التقاليد، تسمح للمطلع عليها أن يحوِّل الجملة اللغوية العادية إلى أبنية ومعان أدبية، وتستمد القصيدة الواحدة –في نظر هذا المنهج- معناها من النظام الشعري العام، كما تستمد الجملة الواحدة معناها من النظام اللغوي[٤]، بل يذهب (إليوت) إلى أبعد من فكرة صلة الأدب بمعطيات الحياة الحضارية الحاضرة ونظامها الأدبي، إذ يرى أن ما يحدث من عمل فني جديد يحدث بشكل متزامن لكل الأعمال الفنية التي سبقته، فالأعمال الفنية القائمة تشكل نظاماً مثالياً فيما بينها يتحور بدخول العمل الفني الجديد إليها، وأن الماضي يجب أن يبدله الحاضر، كما أن الحاضر يوجهه الماضي، ومن ثم يلزم الشاعر بأن يكتب لا بوعي الانتماء إلى جيله فحسب، بل بتأثير الشعور بأدب بلاده بأسره، وبشكل متزامن[٥].

ولقد شكلت شخصية (أبي العباس محمد بن يزيد المبرد) الأدبية والعلمية عوامل عدة، كالموقف الحضاري الذي يعيشه ويتفاعل معه، وفكره العربي الإسلامي المحافظ، واختصاصه العلمي، وسعته فيه، وإمكاناته الشعرية والأدبية، فله -كما يقول الزبيدي- أشعار كثيرة.. [٦]، كما كان (المبرد) في مختاراته الشعرية مجسداً بيئته وظروف عصره، و"مغلوباً بروح العصر مساقاً لقوتها.."[٧]، كما أن لاختصاصه اللغوي والنحوي أثره في مقارباته وتحليلاته، وفي اهتمامه بالمعنى، في طروحاته الأدبية واللغوية.

---

[١] إيان كريب، **النظرية الاجتماعية**، ص: ١٢٢.

[٢] عوض، د. ريتا: **الكتابة الشعرية والتراث (مكانية القصيدتين القديمة والحديثة)**، مجلة فصول، مجلد ١٥، ع٢، صيف ١٩٩٦م، ص: ١٩٩.

[٣] عوض، د. ريتا: **الكتابة الشعرية والتراث**، ص: ١٩٨.

[٤] ينظر، عوض، د. ريتا: **الكتابة الشعرية والتراث**، ص: ١٩٩.

[٥] ينظر، T. S. Eliot, Selected prose (London 1965) p.23

[٦] الزبيدي، **طبقات النحويين واللغوين**، تح محمد أبو الفضل، مطبعة السعادة، ص:١١٢ -١١٣.

[٧] عباس، د. إحسان عباس: **تاريخ النقد عند العرب**، دار الشروق، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص:٧٩.

لقد كان (المبرد) معتزاً بإسلامه، ومدافعاً عنه، تؤكد هذا موضوعات كتاب "الكامل" ومرجعياته فيه، وإنكاره على الشعراء في تجاوزاتهم الفكرية والمسلكية، فهو يعيب –مثلاً- شعر المحدثين في كتاب "الروضة" الذي ينافي الأخلاق، ويجاهر بالكفر والمعصية[١]، وينكر على أبي نواس قوله في الأمين[٢]: (من البسيط)

يَا أَحْمَد المرْتَجَى في كِلِّ نَائِبَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعْصِ جَبَّارَ السَّمَوات

فقال: "هذا أعظم جرأة وأقبح مجاهرة، وأشد تبغيض إلى العزيز الجبار- عزّ اسمه"، ويقول: "وقد قال أبو نواس شيئاً من الشعر في الأمين، أتهم فيه، لأنه قال قولاً عظيماً لا يتكلم بمثله مسلم، وهو قوله[٣]: (من البسيط)

تَنَازَعَ الأَحْمَدَان الشّبه فاشتبها خَلْقاً وَخُلْقاً كما قُدَّ الشراكانِ
اثنَان لا فَضْل للمَعْقُولِ بَيْنَهُمَا مَعْنَاهُمَا وَاحدٌ والعِدَّةُ اثنانِ"

وكذلك "كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم، وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشيرة، وبلاغة المكاتبة، وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط، وصحة القريحة، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد، ممن تقدمه أو تأخر عنه"[٤].

ثالثاً- موضوعات البحث:

المبحث الأول: **معالم فكر (المبرد) الأدبي**:

يستهدف (المبرد) -في مختاراته الشعرية في كتابه "الكامل"- أمرين، الأول: التأصيل اللغوي للمعاني، فيبرز الغموض، ويفسر كل" كلام غريب، أو معنى مستغلق"[٥]، وغالب شواهده في هذا أبيات مفردة، والثاني: رواية مختاراته الشعرية التي استحسنها، وإن النظر في سمات الشعر الحسن لديه، والبحث عن سر اختياراته الشعرية في مروياته، وتوصيف صفاته، يبرز معلمان لفكره الأدبي، الأول: إنسانيٌّ، والآخر: واقعي.

---

[١] ينظر، على سبيل المثال الحبيب، عبد الكريم الحبيب: **نصوص من الروضة**، ص: ١٦٥- ١٦٦، ١٧٠، ١٧١.

[٢] ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ود.ت، ص: ١٧٤.

[٣] الحبيب، عبد الكريم الحبيب: **نصوص من الروضة**، ص:١٧٢.

[٤] القفطي، جمال الدين علي بن يوسف: **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، تح: محمد أبو الفضل، ج٣، دار الكتب، ١٣٦٩هـ، ص: ٢٤٩-٢٥٠.

[٥] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: **الكامل**، ج١، دار الفكر، بيروت (د.ت.ط)، ص:٢.

المعلم الأول- الإنساني:

إن "الإنساني": هو ما له صلة بالإنسان وأحواله ومآلاته إيجاباً وسلباً، ويتأكد هذا المعلم في أمورٍ، منها: إن موضوعات اختياراته الشعرية لا تنفك عن علائق الإنسان وتفاعلاته مع الآخر، مجتمعياً، وسياسياً، ووجودياً، كما يؤكده الحصر العددي في الجدول رقم (١)، الذي بلغ فيه عدد المقطوعات الشعرية (٢٨٧) قطعة شعرية، منها (٢٥٣) قطعة –تقريباً- في الإنسان وأحواله ومآلاته: إيجاباً وسلباً، ومدحاً وهجاءً، وفخراً وحماسة، وتعزية ورثاءً.. في المقابل لا تتجاوز الموضوعات غير "الإنسانية" (١٤) قطعة شعرية، بعضها في وصف الخمر، وأخرى في وصف الطبيعة، وقليل منها في مناحي الفكر.

نموذج (١) الحصر العددي لمختاراته الشعرية:

المدح	الهجاء	الفخر	الرثاء	النسيب	أخلاقيات	نصح وحكم	دينية	خمريات	وصف الطبيعة	الزهد عن الدنيا
٣٨	٣٢	٣٧	٦٢	٢٢	١٨	٨	١٣	٦	٧	٥

شكوى الدهر والأيام	عيب المتكلمين	الاستعطاف والاعتذار	في أهوال الحرب	أحوال النفس في الدنيا	العتاب
٦	١	٦	٢	٢٣	١٤

إن الموضوعات الشعرية لمرويات (المبرد) تبرز العلائق المجتمعية والسياسية بين الإنسان والآخر من الناس، وكذلك تبرز تفاعل الإنسان مع أشياء الوجود، ودوره في صناعة أحداثها؛ وبهذا كانت معبرة عن واقعه الذي يعيشه ويتفاعل معه، وعن حاضره المتصل بماضيه، والمستشرف لمستقبله، وكان استرجاعه لكثير من النصوص الشعرية القديمة هو لتحقيق موقفٍ معاصر له صلة بالماضي، وليؤكد –مثلاً- صدق قاعدة نحوية، أو يؤصل لدلالة لغوية، أو يعزز موقفًا يتصل فيه إنسان الماضي مع إنسان الحاضر؛ ومن ثم فإن (المبرد) لا يبعد عن الموقف الحضاري الذي يعيشه ويتفاعل معه؛ ومن ثم نجد الأنا

الجمعية من أسس مختاراته التي تصل إنسان الماضي بالحاضر حالاً، وفكراً، وثقافة..

كما تتأكد فكرة "الإنسانية" من موضوعات شعره التي نظرنا فيها، وهي لا تخرج عن موضوعات اختياراته الشعرية، إذ نجد في "كامله" مقتطفات شعرية [١]، الأولى: خلقية، والأخرى: في النسيب، ونجد في "معجم الشعراء" مقطوعتين[٢] في المدح، وبيتاً في البلاء والعافية، وفي "إنباه الرواة على أنباء النحاة"[٣]، و"طبقات النحويين واللغوين"[٤] –أيضاً- مقتطفات شعرية في (٤٢) بيتاً، وهي في المدح، والعتاب، والطلب والحاجة، والنسيب، والحكمة، والعزاء، والخلق، ولا نجد في أبياته الشعرية إلا بيتاً واحداً فقط في وصف النرجس[٥].

المعلم الثاني ـ الواقعي:

يتصل الواقعي بالإنساني، فالإنسان ابن واقعه يعيش فيه ويتفاعل معه، وثمرة هذا التفاعل خبرات حياتية جديدة ومفيدة؛ ومن ثم فإن (المبرد) وهو يروي عن الماضي لا يعيش هذا الماضي بمعطيات الحاضر، ولكنه يعيش الحاضر بخبرات الماضي وتجاربه، ويجعل مروياته ملتقى مسارب تاريخية شتى تغنيه وتثريه، وتعزز موقفه الحضاري والثقافي الذي يعيشه تأصيلاً وتعميقاً؛ وحينها تصبح الحقيقة الشعرية هي تعالق الحاضر بالماضي، واتصاله به، وتفاعله المثمر معه، وهذه الحقيقة الشعرية واقعية لا "فوق واقعية"؛ لأن منتجها الإنسان، ويدركها العقل، وتستشعرها الحواس، وما دونها "إفراط وغلو"، ولا يرى (المبرد) في هذا الغلو والإفراط قيمة إلا بقدر إدراك الحواس علاقاته، و"مقاربة" عناصره، و"تصيب" في تشكيل صوره، وعندها يعيش الإنسان واقعه، ويتفاعل معه، ويستمتع بما فيه؛ ويصبح- عند (المبرد): "أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة.. وساقه برصفٍ قوي واختصار قريب"[٦]؛ ليؤكد من نصه هذا على نزوعه إلى حقائق الواقع؛ لأنها مادة المعاني؛ ومن ثم يجعل من مقاربة التشبيه، ودقة تمثيله للحقيقة الواقعية معيار جودته، فيؤكِّد على:

---

[١] المبرد، **الكامل**، ج١، ص: ٣٧، و ج٢، ص:٢٢٣.
[٢] ينظر، المرزباني: **معجم الشعراء**، نشر القدسي، ص: ٤٤٩ ـ٤٥٠.
[٣] ينظر، القفطي، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، ج٣، ص: ٢٣٧.
[٤] ينظر، الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، ص:١١٢ ـ ١١٣.
[٥] ينظر، النويري، **نهاية الأرب**، ج١، مطبعة دار الكتب، ص: ٢٣٥.
[٦] المبرد: **الكامل**، ج١، ص٢٠٠.

أولاً- الربط الشكلي بين المشبه والمشبه به، والتحديد الدقيق لعلائقهما الظاهرة، في قوله: "مقاربة التشبيه".
ثانياً- إن الشعر يجسد الحقيقة، ومعانيها الواقعية، في قوله: " وأصاب به الحقيقة".
ثالثاً- إن الشعر كشف للعلائق المضمرة، ومعانيها المستترة وإبرازها في واقع الحياة، في قوله: "ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره".

إن الحقيقة التي يبحث عنها (المبرد) في مختاراته الشعرية، ويؤمن بها، ليست بعيدة عن الحياة الإنسانية وواقعها الملموس، وعن تفاعلات الإنسان مع الآخر؛ ولهذا لا نجد للخيال الشعري في مروياته الشعرية وجودًا ظاهراً، بل تظل آفاقه محدودة، والأقدر في التعبير عن الحقيقة الشعرية الواقعية هي الإمكانات اللغوية المنتجة للمعنى الواقعي، ولا شك أن آلة إدراك ذلك كله هو العقل، وهذا العقل يعيش في الواقع وبالواقع ويتفاعل معه.

إن اهتمام (المبرد) بمعطى الحياة الواقعية جعله يرفض الإفراط والتجاوز في الأداء الشعري ويحذر منه، ويعيب على الشعراء المحدثين ذلك في بعض مصنفاته، ففي كتاب "الروضة" -مثلاً- يقول:" قد استظرف الناس قول أبي نواس في قدر الرقاشي، ولا أراه حلواً لإفراطه.."[1]، ثم يذكر الأبيات ويقول فيها –أيضاً- :"ويستجيد خلق كثير وليس عندي بالمحمود لما فيه من الإفراط"[2]..

المبحث الثاني: في نظرية المعنى:

إن الفكر الأدبي "الإنساني"، و"الواقعي" (للمبرد) تجسد في طروحاته الشعرية "المعنوية" في كتابه الكامل، فقد كان المعنى هدفه الأول لمختاراته، وتأليفه لكتابه، وكان لهذا الهدف أثره في منهجه، وطرائق بحثه، فالمعنى ثمرة مناشط الإنسان الواقعية إيجاباً وسلباً، وهو حصاد تجاربه الفاعلة، والإنسان الإيجابي هو المنتج للمعنى، والمستفيد منه، والمسترشد به، والمعبر به عن موقفه الفكري والثقافي؛ ومن ثم يبرز في طروحاته الأدبية ملامح فكره الأدبي الآتية:

---

[1] حبيب، **نصوص من الروضة**، ص:١٧٥.
[2] حبيب، **نصوص من الروضة**، ص:١٧٥.

أولاً- إن الحقيقة كامنة في المدرك الحسي لا منفصلة عنه، وإن جوهر الأشياء موصول بحقيقتها المادية، ولا تنفصل عنها؛ ومن ثم نجد روابط بين المدرك الحسي والأفكار[١].

ثانياً- إن المعنى في الشعر بمثابة الماهية أو الجوهر، وهذ يدرك بالعقل المحض[٢].

ثالثاً- المعنى هو موضوع الحكم على إيجاب الشيء من عدمه؛ ومن ثم كان "المعنى" أساس حكمه على الشعر، وهو الذي فرض عليه اختيار مروياته الشعرية.

رابعاً- إن هذا العقل الذي يدرك المعاني، هو المعتبر في الفكر العربي الإسلامي، وهو محل التكريم للإنسان وتفضيله على غيره.

إن المعنى هو الذي يحدد موقف (المبرد) من الشعر استحسانًا أو رفضًا، واعتمد عليه في الموازنة بين الشعراء، والأخذ بينهم كذلك، وفي مقارباته بين القديم والحديث، ومن دلائل تغليبه "المعنى" في مختاراته الشعرية الآتي:

أولاً- نصه على "المعنى":

لقد نص (المبرد) على "المعنى" في أكثر من موضع في كتابه "الكامل"، الذي يستفتحه بتحديد مقاصد تصنيفه فيقول: "والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق"[٣]، ويؤكد على أن علة اختياراته لشعر الخوارج هو المعنى، في قوله: "وأخبار الخوارج كثيرة طويلة، وليس كتابنا مفرداً لهم، لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب، أو شعر مستطرف، أو كلام من خطبة معروفة مختارة"[٤]، بل ينص على أن تردد معنى بيت شعري بين الشعراء هو معيار جودته، فيقول: "ومما يستحسن إنشاده من الشعر لصحة معناه، وجزالة لفظه، وكثرة تردد ضربه من المعاني بين الناس، قول ابن ميادة لرياح بن عثمان بن حيان المري.." [٥]، ثم يعقب بذكر الأبيات.

---

[١] ينظر، ناصف، د. مصطفى ناصف، **نظرية المعنى**، دار الأندلس، بيروت، ص:٧١.
[٢] ناصف، **نظرية المعنى**، ص:٧٠.
[٣] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢.
[٤] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٥٤.
[٥] المبرد، **الكامل** ، ج١، ص: ٣٦.

ثانياً- تكثير ذكر "المعنى":

إن الحصر العددي والتتبع الدقيق لمفردتي "المعنى" و"اللفظ" ومشتقاتهما المختلفة يتأكد تكثير ذكر "المعنى" بدلالتيه الشعرية واللغوية؛ وبهذا يتأكد اهتمامه بالمعنى في "كامله"، كما هو مبين في الجدول رقم (٢).

نموذج (٢) حصر عدد ذكر صيغتي: (معنى) و(لفظ)..

	المعنى		اللفظ	
	دلالة شعرية	دلالة لغوية أو نحوية	دلالة شعرية	دلالة لغوية أو نحوية
	٥٩	٩٩	٨	٢١
المجموع	١٥٨		٢٩	

إن المعنى هو معيار أساسي لاختيارات (المبرد) الشعرية، وأخذ به في طروحاته وفي حكمه، وهو المستهدف في تناوله "اللغوي والنحوي"، محددًا رفضه "استكراه اللفظ لغرابته"، وكأنه في هذا الإجراء يفكك الغريب، ويحل عُقَدَه المعيبة أمام متلقيها..

لقد تناول (المبرد) في النقد "جانب المعنى، كما يتناول الجانب اللغوي والنحوي"[١]؛ ومن ثم لا يبعد ذوقه الشعري كثيراً، الممثل باختياراته الشعرية المتميزة، عن إمكاناتها اللغوية، التي تكاد تعيد نفسها في كل نص- في تحليلاته اللغوية، وتوجيهاته النحوية، فالاختيار الشعري يمثل جانباً من نزوع فكره الأدبي، وتحليله للمفردات، وأحوال التراكيب يمثل جانباً آخر، بل إن التحليل "اللغوي والنحوي" هو صورة معبرة عن شخصيته الأدبية، بمعنى أننا لسنا أمام شخصيتين، شخصية المبرد اللغوية والنحوية في مقابل شخصيته الأدبية والنقدية، بل نحن أمام شخصية واحدة تعبر عن هويتها في صور من الممارسات والإجراءات، إما تحليلاً، أو اختياراً، أو حكماً، أو استكشافاً؛ ومن ثم فإن التحليل اللغوي ومعانيه، أو التوجيه النحوي والتأصيل لأحواله هي صور للممارسات الأدبية والنقدية "للمبرد"، وهو مثال للناقد العربي الذي "يعني بوصف الكلمات وتحسس مواقعها في النفوس"[٢].

---

[١] عضيمة، محمد عبد الخالق: مقدمة تحقيق كتاب **المقتضب**، ج١، عالم الكتب، بيروت، ص٤٧.

[٢] ناصف، د. مصطفى: **نظرية المعنى**، ص:٩٩.

ثالثاً- ما نص على استحسانه:

ورد الكثير من أبيات الشعر -في مروياته الشعرية- التي نص على استحسانه لها، وعدد النصوص التي كانت محل الدراسة -وهي التي لا تقل عن أربعة أبيات- هي (٢٥) نصاً، وَقَد وردت صيغ عدة لاستحسانه لها، كقوله: "ومما ندر من شعر الخنساء قولها ترثي صخراً"[١]، وقوله: "ومن جيد قولها"[٢]، وقوله: "مما اخترنا من مرثية يزيد المهلبي للمتوكل"[٣]، و"ومن أشعار العرب المشهورة المتخيرة.. وسنذكر منها أبياتاً نختارها من ذلك"[٤]، وقوله: "وفي هذا الشعر مما استحسنته"[٥]، و"من أشعر الناس ومن شعره"[٦]، ويقول في شعر متمم: "ومن طريف شعره"[٧].. ونحو هذا.

ونلحظ إن استحسانه للشعر –دائماً- قرين المعنى كقوله: "وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني"[٨]، و"مما يستحسن في وصف الجود والحث على المبادرة به.."[٩]، و"معنى طريف، وقد أخذه أبو حية فكشفه في أبيات مختارة"[١٠]، و"هذا من أجود الكلام وأوضحه معنى، ويستحسن لذي الرمة قوله في مثل هذا المعنى"[١١]، و"هذا من أعجب ما قيل في النحافة"[١٢]، "وأول هذه القصيدة طريف مستملح"[١٣]، و"فحسن قوله وصح معناه باعتذاره، وهو الطائي[١٤]، و"من حلو المراثي وحسن التأبين شعر ابن مناذر"[١٥].. ونحو هذا.

وبالنظر في النصوص الشعرية التي نص على استحسانها نجد الآتي:

أولاً- إن معيار استحسانها المعنى؛ ومن ثم نجد المعنى قرين ما نص على استحسانه، كما هو ظاهر في الإحالات النصية السابقة..

---

[١] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص: ٢٦٠.
[٢] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٢٦٢.
[٣] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٢٩٣.
[٤] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٢٧٧.
[٥] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٢٧١.
[٦] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:١٩٩.
[٧] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٢٨١.
[٨] المبرد، **الكامل**، ج١، ص٢٠٩.
[٩] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢٥٥.
[١٠] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٥٤.
[١١] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢٠١.
[١٢] المبرد، **الكامل**، ج١،ص ١٩٩ - ٢٠٠.
[١٣] المبرد، **الكامل**، ج٢، ص١٩.
[١٤] المبرد، **الكامل**، ج3، ص: ٢٤٧.
[١٥] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص: ٢٦٩.

ثانياً- إن هذه المعاني "إنسانية- واقعية"، وموضوعاتها: (٧) في الرثاء، و(٤) في المدح، و(٣) في الفخر والحماسة، و(٣) في البعد والهجر، و(٢) في النصيحة، و(٢) في الهجاء، و(١) في الكرم، و(٣) في موضوعات متفرقة غير إنسانية.

ثالثاً- إن أطول نص يرويه بلغ (٣٤) بيتاً، وهو "لابن مناذر"، وهو شاعر محدث.

رابعاً- مقارباته بين القديم والحديث:

ومقاربته بين القديم والحديث يتصل بالمعنى، فهو لا يقدم قديماً لقدمه، ولا يهجن حديثاً لحداثته، فيقول: "وليس تقدم العهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يُعطى كل ما يستحق، ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده"[١]، ثم يورد له أبياتاً من الشعر؛ ومن ثم فإن (المبرد) يجعل المعنى أساس اختياره، ويستحسن المعاني المعبرة عن حقائق الحياة ودقائقها، ليسترشد بها الإنسان في حياته، فيقول: "وهذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين، حكيمة مستحسنة، يحتاج إليها للتمثيل؛ لأنها أشكل بالدهر.."[٢]؛ ولهذا نجده -كما يقول الدكتور إحسان عباس-: "تبنى الشعر المحدث، ومنحه شيئًا كثيراً من عطفه، واعتماده أصلاً من أصوله في تدريسه لطلابه"[٣]، وأقوى دليل على ذلك مروياته للشعراء المحدثين التي لا تقل عن مروياته لسابقيهم، في الحصر، والحجم، والتكرار -في حال إذا جعلنا نسبة التكرار معياراً لقبول شعر الشاعر، ودليلاً على اهتمام (المبرد) به وتقديمه على غيره- إذ نجد نسبة تكرار الكثير من الشعراء المحدثين عالية، وهي لا تقل عن (٣٦,٦٦)، من شعر سابقيهم من شعراء العصر الأموي، والإسلامي، والجاهلي، ونجد -مثلاً- تكرار ذكر (عبدالله ابن أبي عيينة) -في كتابه- حوالي (٨١) مرة، وكذلك وجدنا أطول نص في مروياته (لابن مناذر)، وهو شاعر محدث، بل قد يشيد بشعر محدث لطرافة معناه، كقوله في معاني شعر أبي تمام: "لأبي تمام استخراجات لطيفه، ومعان طريفة.. وهو صحيح الخاطر، حسن الانتزاع.."[٤]، وقوله معقباً على أبياتٍ لأبي نواس: "فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد"[٥]

---

[١] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢٤.

[٢] المبرد، **الكامل**، ج٢، ص:٢.

[٣] عباس، **تاريخ النقد عند العرب**، ص:٧٨.

[٤] الصولي، أبو بكر الصولي: **أخبار أبي تمام**، تح: خليل عساكر، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ص:٩٦.

[٥] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٧١.

نموذج (٣) في نسبة تعديد الشعراء..

نسبة التعديد			
الجاهلي	الإسلامي	الأموي	العباسي
%١٣,٣٣	% ١٠	%٤٠	٣٦,٦٦

المبحث الثالث: **آليات تحقيقه للمعنى واستكشافه له**:

ويتأكد -في ضوء نظرية المعنى- أن الموازنة بين المعاني، والإشارة -كذلك- إلى أخذ الشعراء بعضهم من البعض ليس هدفها التقليل من معاني شعرهم والقدح فيها، بقدر ما هو تأكيد على شغف الشعراء بها، وكثرة تداولها بينهم لقيمتها، وكأنه "بالموازنة"، و"بمبدأ الأخذ" يؤكد فكرة "تردد المعنى"[١] الذي قال به، وجعله معياراً لجودة الشعر وتميزه؛ ومن ثم تكون مقابلاته بين أبيات الشعراء، وموازناته بينهم هو التأكيد على المعنى، والتأصيل لمبتكره.

أولا ـ منهج الموازنة:

أخذ (المبرد) بمنهج الموازنة بين المعاني في طروحاته الأدبية لمختاراته، وقد تكررت صيغ موازناته في "الكامل"، كقوله: و"في هذا المعنى"[٢]، و"مثل هذا الشعر"[٣]، "ونظيره"[٤].. "ونظير هذا الشعر"[٥]، "وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائي"[٦]، "وقال الحارث بن حلزة اليشكري في هذا المعنى"[٧]، "ونظير هذا قول مهلهل يرثي أخاه كليباً.."[٨]، ويقول في في شعر عمرو بن زغبل موازناً إياه بشعر ابن عيينة: "وكان لا يبلغ ابن أبي عيينة في الشعر ولا يدانيه"[٩]، ويقول: "ولابن عيينة في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذي اليمينين، وهجاء إسماعيل.."[١٠]، و"مما يشاكل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسري.."[١١]،

---

[١] المبرد، **الكامل**، ج١، ص: ٣٦.
[٢] ينظر، المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢٥٩.
[٣] ينظر، المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٢٨٢.
[٤] ينظر، المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢.
[٥] ينظر، المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢١٤.
[٦] المبرد، **الكامل** ج١، ص:٢٥٨.
[٧] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢٥٩.
[٨] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢١٦.
[٩] المبرد، **الكامل**، ج٢، ص:٢٧.
[١٠] المبرد، **الكامل**، ج٢، ص٢٨.
[١١] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٢٧.

"وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثي زوجها"[١].. ويقول معقباً على أبيات أبيات أعرابي: "ومثله قول عمارة يمدح خالد بن مزيد"[٢].. "ومثل بيته هذا قول حبيب الطائي"[٣]، ويقول: "وقال معاوية بن أبي سفيان في خلاف هذا المعنى"[٤]، ويقول –مثلاً- معقباً على "كأن عليهم شروق الطفل"، و" أحسن من هذا قول سلامة بن جندل[٥]: (من الطويل)

كأنَّ النَّعَام بَاضَ فَوقَ رؤسِهِم وأعينهُمْ تَحْتَ الحدِيدِ جَواحِم

أما قوله: "أحب إليه من المسمعات" فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن إدريس أبو دلف العجلي"[٦].. ونحو هذا.

ولم نجده يأخذ بالشكل اللغوي الأدبي، ومستويات أدائه التركيبي في موازناته بقدر اهتمامه بالمعنى، وينص على ذلك تصريحاً، أو تضميناً، كما نلحظ في الإحالات السابقة..

و(المبرد) قد يحدد في موازناته قوة معنى شاعر، كقوله في بيت لابنةٍ (لابن الرقاع)، وهي صبية: (من الطويل)

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوِجْهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لا زِلْتُم قَرْنَ وَاحِد

"فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الأعشى في قلب هذا المعنى [٧]، حيث يقول: [٨] (من الطويل)

يَرَى جَمْع مَا دُوْنَ الثَّلاثِينَ قَصْرَة ويَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلاثِين وَاحِدا

وقد يفاضل كقوله: "ليس شعر نصيب هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر" [٩]. وقد يصدر حكماً، كما في أبيات قيس بن معاذ[١٠]: (من الطويل)

وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدث عنك النفس في السر خاليا

وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيال منك يلقى خياليا

---

[١] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٢٩١.

[٢] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٢٤٨.

[٣] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٢٢٩.

[٤] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٢٣٠.

[٥] ديوان سلامة بن جندل، صنعة: محمد بن الحسين الأحول، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب الكتب العلمية-بيروت، ط٢/١٤٢٧ه- ١٩٧٨م. ص: ٢٤٧.

[٦] المبرد، **الكامل**، ج٢، ص:١٩.

[٧] المبرد، **الكامل**، ج١، ص١٨٠.

[٨] ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، دار الكتب العلمية بيروت، د.ط ود.ت. ص: ٦٧.

[٩] المبرد، **الكامل**، ج١، ص١٢٤.

[١٠] إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت. ٧٥٦/٣.

أشوق ولما تمض لي غير ليلةٍ رويد الهوى حتى تغب لياليا

فيقول فيه "هذا من أحسن الكلام وأوضحه معنى" [١].

ثانيًا- مبدأ الأخذ:

إن الدقة العلمية تحتم علينا ألا نذكر مصطلح "السرقات" في طروحات (المبرد) النقدية، كما يقول بذلك بعض الباحثين[٢]، بل نحدده في هذا المبحث بمصطلح "مبدأ الأخذ"؛ وذلك لأن تردد المعنى وانتشاره هو مراد بحثه، وهو يريد أن يجعل معيار القيمة الشعرية لمعنى شعري بكثرة انتشاره بين الشعراء، ولا يريد اتهام هذا الشعر بكثرة الانتشار، ودليل هذا أنه لم يعب شعر شاعر أخذ معنى من شاعر آخر، وإن فاضل بينهما، ولم نرصد -كذلك- في كتابه "الكامل" تهمة سرقةٍ لشاعرٍ من الشعراء، وهذا خلاف ما قاله الدكتور إحسان عباس في أن (المبرد) "تجاوز مرحلة الاختيار، فأخذ يدل على المعاني المسروقة، لا بين الشعر فحسب، بل بين الشعر والنثر"[٣]، وأيضاً خلاف ما نجده في كتب النقد الشعري الأخرى، المُصَرِّحَة بسرقة شاعر من آخر، والموجهة للشعراء بالنقد الشديد، ومبينة عيوب شعرهم، ككتاب "الموازنة" للآمدي[٤] -مثلاً- وكتاب "الوساطة" للجرجاني[٥]..

ومن صيغ الأخذ التي أوردها قوله: "وأخذها في صدر هذا الكلام من قول القائل"[٦].. وقوله: "ومن قوله أخذ الطائي في مرثيته"[٧]، و"أخذ هذا المعنى"[٨]، و"مأخوذ من قولهم"[٩]، ونجد أن إشارات الأخذ للمعنى ترد في الغالب في سياق استحسانه لمعاني أبيات شعرية، ثم يعقب بعدها إلى المأخوذ منه هذا المعنى .

---

[١] المبرد، **الكامل**، ج١، ص٢٠١.
[٢] ينظر، عباس، **تاريخ النقد عند العرب**، ص٧٩ -٨٠.
[٣] عباس، **تاريخ النقد عند العرب**، ص٧٩ -٨٠.
[٤] ينظر، على سبيل المثال، الآمدي: **الموازنة**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، ص١٠٣، ٢٢٤، ٢٢٥..وغيرها
[٥] ينظر على سبيل المثال، الجرجاني، علي بن عبد العزيز: **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تح : محمد محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، دار القلم، بيروت، ص:٣٢، ٥٥، ٢١٠.. وغيرها.
[٦] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٢٩١
[٧] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص:٢٤٨.
[٨] المبرد، **الكامل**، ج١، ص:٨٠.
[٩] المبرد، **الكامل**، ج٢، ص:١٠.

وقد يصدر (المبرد) حكماً في مبحث الأخذ، كقوله معقباً في تشبيه امرئ القيس للثريا: "وقد أكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى.." [١]، وقد يعلل استحسانه لشعر على آخر، ففي قول ابن أبي عيينة: (من البسيط)

ما راح يوم على حي ولا ابتكرا إلا رأى عبرة فيه إن اعتبرا
ولا أتت ساعة في الدهر فانصرمت حتى تؤثر في قوم لها أثرا
إن الليالي والأيام أنفسها عن غير أنفسها لم تكتم الخبرا

قال: " فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائي وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال[٢]: (من الكامل)

عمري لقد نصح الزمان وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق

فزاد بقوله: "ناصح لا يشفق على قول ابن أبي عيينة شيئاً طريفاً، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام". وقد يشير إلى ما يضيفه اللاحق إلى معنى السابق، كقوله:" ومن حسن ما قالوا في التشبيه قول إسماعيل بن القاسم، أبي العتاهية للرشيد[٣]: للرشيد[٣]: (من الوافر)

أمين الله أمنك خير أمن عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل فضل وأنت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه راس

ويعقب عليه بقوله: و"قد أخذ هذا المعنى علي بن جبلة، فقال في مدحه حميد بن عبد الحميد، وزاد في الشرح والترتيب" [٤]، فقال: (من السريع)

يرتق ما يفتق أعداؤه وليس يأسو فتقة آسي
فالناس جسم وإمام الهدى رأس وأنت العين في الراس

ونلخص من نقاشنا لآليات تحقيق (المبرد) للمعنى إلى تأكيد أنه لم يهتم بالأساس اللفظي أو التركيبي فيها إلا في مواضع التحليل اللغوي والنحوي، وهي أبيات مفردة، أما النصوص الشعرية التي تتجاوز أربعة أبيات فنجده اتخذ الأفكار والمعاني أساس "موازناته"، والنظر في "أخذ الشعراء"، وهو لا يهدف من ذلك إلى تهجين معنى شعري بقدر ما هو تأكيد منه على انتشاره بين الشعراء لجودته وأهميته، وتأصيله –كذلك- لمبتكره..

---

[١] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٣.
[٢] شرح ديوان أبي تمام، قدم له: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٤ه-١٩٩٤م، الجزء ٢: ٣٥٤.
[٣] ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م. ص:٢٣٣.
[٤] المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٧٦.

الخلاصة:

لقد خلص البحث الى الآتي:

اولًا-: التأكيد على أن الهدف من مختارات (المبرد) الشعرية ليس الحكم النقدي، بقدر ما هو جمع ما هو حسن لحياة الإنسان، ومفيد لأحوال الحياة الواقعية التي يعيشها..

ثانيًا- ان اهتمام (المبرد) بالمعنى، وبآليات بحثه وتحليله له يجسد جانبًا من الموقف الحضاري العربي الإسلامي، إذ إن الموازنة بين المعاني موصولة بظاهرة الإسناد، ومرادها إسناد الأشياء إلى أصحابها، فالمحدثون يهتمون بنسبة الحديث وإسناده إلى صاحبه، واللغويون يعنون بنسبة المادة اللغوية إلى أصولها، والأدباء يعنون بنسبة الشعر إلى صاحبه، وعندها يتأكد أن قيمة المعنى ليس في ذاته وحده، بل هناك قيمة أخرى تنشأ عن ارتباطه بصاحبه.

ثالثًا- تنزع طروحات (المبرد) نحو المعنى الإيجابي، وهو المعنى الذي له علاقة مباشرة بمصير الإنسان؛ وهذا يعلل كثرة موضوعات "الرثاء" في مروياته.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.
٢. أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام، تح: خليل عساكر، المكتب التجاري للطباعة، بيروت.
٣. أبو تمام، شرح ديوان أبي تمام، قدم له: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٤ه-١٩٩٤م.
٤. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل، دار الفكر، بيروت (د.ت.ط).
٥. أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.
٦. أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ود.ت.
٧. إحسان عباس: تاريخ النقد عند العرب، دار الشروق، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٨. الآمدي: الموازنة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة.
٩. إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، عالم المعرفة، ع ٢٤٤، ١٩٩٩م.
١٠. جمال الدين علي بن يوسف القفطي: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل، ج٣، دار الكتب، ١٣٦٩هـ.
١١. ديفيد ديتشس: مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ترجمة: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.
١٢. ريتا عوض: الكتابة الشعرية والتراث (مكانية القصيدتين القديمة والحديثة)، مجلة فصول، مجلد ١٥، ع٢، صيف ١٩٩٦م.
١٣. الزبيدي، طبقات النحويين واللغوين، تح محمد أبو الفضل، مطبعة السعادة.
١٤. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، صنعة: محمد بن الحسين الأحول، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢/١٤٢٧ه-١٩٧٨م.
١٥. شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة، الكويت، ع ١٧٧، ١٩٩٣م.

١٦. علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، و علي البجاوي، دار القلم، بيروت.
١٧. محمد عبد الخالق عضيمة: كتاب المقتضب، عالم الكتب، بيروت.
١٨. مصطفى ناصف، نظرية المعنى، دار الأندلس، بيروت.
١٩. ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، دار الكتب العلمية بيروت، د.ط ود.ت.
٢٠. النويري، نهاية الأرب، مطبعة دار الكتب..